دوفصل‌نامه علمی - تخصصی
مطالعات تاریخی امت اسلامی
س۸، ش۱۵، بهار و تابستان ۱٤۰٤
صفحات ۱۲۵ تا ۱۵۰

Quarterly Journal
Historical Studies of Islamic Community
Vol.8, No. 15, Spring & Summer 2025
P 125 - 150

حقيقة التصوف ومنطلقاته الأساسية وكيفية نشوئه فى غرب أفريقيا

محمدحبيب ديالو[۱]

المستخلص

تتناول هذه الدراسةُ التصوّفَ ومبادئه النظريةَ وتطوّره فى غرب إفريقيا، مركزةً على دوره الإصلاحى والسياسى فى القرون الخمسة الأخيرة. تُبرِز الورقةُ الدورَ التأسيسىَّ للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلِى فى غرس بذور الإصلاح الصوفى، ثم تحوّله لمؤسّسة منظمة على يد الشيخ المختار الكنتى عبر القادرية. وتستعرض السياق التاريخى لنشوئه إثر سقوط صنغاى (١٥٩١م) والوجود الأوروبى المبكر. تناقش الأجندة الإصلاحية للطرق، مقارنةً بين نهجها بالمجتمعات الصحراوية الهادف لإصلاح الوفاق الأهلى، والسودانية الرامى لبناء الدولة بالجهاد؛ عبر نماذج: خلافة عثمان دان فوديو، ودولة أحمدو بن لبو (ماسينا)، والدولة العمرية التجانية بقيادة الحاج عمر الفوتى. تستنتج الورقة أن التصوف تجاوز الأبعاد الروحية التقليدية ليصبح مشروعًا إصلاحيًا شاملاً، جمع بين التجديد الدينى، والتنظيم الاجتماعى، والبناء السياسى، ومواجهة التحديات الخارجية.

الكلمات المفتاحية:

غرب إفريقيا، الطرق الصوفية، الإصلاح الدينى، الخلافة، الجهاد، القادرية، التجانية.

---

[۱] كارشناسى ارشد، تاريخ معاصر جهان اسلام، گروه تاريخ تمدن اسلامى، مجتمع تاريخ سيره و تمدن اسلامى، جامعه المصطفى العالميه، گينه رايانامه: habib_dyalo@miu.ac.ir.

المقدمة

يعتبر ظهور الطرق الصوفية فى السودان الغربى (غرب إفريقيا) أحد أهم وأبرز التطورات الثقافية والسياسية والدينية فى التاريخ الحضارى لإفريقيا جنوب الصحراء على مدار القرون الخمسة الأخيرة. كانت الطريقة القادرية المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى (دفين بغداد ٥٦١هـ/١١٦٧م)، هى أولى الطرق الصوفية وصولاً إلى غرب القارة. تبعتها -وربما سبقتها- الشاذلية، ثم التجانية فى القرن التاسع عشر والتى أخذت زخماً كبيراً فى غرب إفريقيا بدءاً من القرن التاسع عشر.

عند الحديث عن "مؤسسة التصوف فى غرب إفريقيا (الطرقية): السياق التاريخى والأجندة الإصلاحية" تقفز إلى الذهن شخصيات صوفية كبيرة لعبت أدواراً محورية فى مراحل تاريخية مختلفة وفى فضاءات جغرافية وبشرية متنوعة داخل منطقة الغرب الإفريقى، من بين هؤلاء الشيوخ: عُثمان بن فُودِى فى نيجيريا، والحاج عمر تَالْ فى السنغال، والشيخ أحمدُو لَبُو فى مَالِى، والسادة؛ الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن الحبيب العلوى، والشيخ محمد فاضل مامين، ومحمد الأغظف الداودى، فى موريتانيا.

لكن -فى نظرى- هناك شخصيتان صوفيتان لعبتا دوراً تأسيسيّاً رائداً حكم مسار التصوف فى الغرب الإفريقى لقرون عديدة، هاتان الشخصيتان هما: الشيخ محمد بن عبد الكريم المُغِيلِى (توفى ٩٤٠هـ/١٥٣٣م)، الذى غرس بذور التصوف الإفريقى وطبعه بطابع إصلاحى شديد الفاعلية، وأما الشخصية الثانية فهى الشيخ المختار الْكُنْتِى (توفى ١٢٢٦هـ/١٨١١م)، الذى يعود له الفضل فى مؤسسة التصوف الطرقى فى غرب إفريقيا فى ملتقى القرنين ١٨/١٧، كما منحه الفكرة التجديدية والأداة التنظيمية التى أهَّلته لمواجهة التحديات الدينية والحضارية التى عاشها السودان الغربى منذ انهيار دولة السَنْغَايْ ١٥٩١.

أولاً: الشيخ المُغِيلِى والأبوة الفكرية للتصوف غرب الإفريقى

لقد عرفت القادرية الانتشار والذيوع فى عموم المنطقة بفعل جاذبية دعاتها من أمثال الشيخ محمد بن عبد الكريم المُغِيلِى، الذى جال فى كبريات مدن السودان الغربى ولعب أدواراً دعوية وسياسية وإصلاحية كبيرة. قَدِم الشيخ المُغِيلِى إلى الحواضر السودانية برسم الدعوة والسياحة فى الأرض، ولكن رحلته تلك لا يمكن فصلها عن السياق التاريخى العام المرتبط بالتحديات التى واجهها الشمال الإفريقى بعد سقوط الأندلس وحالة التحلل والفساد

التى سادت دول المغرب الأقصى والأوسط، والتى كان عنوانها الأبرز الدور المتنامى لنفوذ تجار اليهود وساستهم فى بلاط الحكم فى كل من فَاسْ وتَلْمَسَانْ، مما أثار استياء عدد من العلماء وفى مقدمتهم الشيخ المُغِيلِى.

لقد رأى المُغِيلى فى غرب إفريقيا متنفساً جديداً لدعوته الإصلاحية، ومجالاً خصباً لتقوية سلطان الإسلام جنوباً، على ضوء التحديات التى يواجهها شمالاً. ومن أجل بلوغ هذه الغايات، منح الشيخ المُغِيلى أخصب سنوات عمره لحركة الدعوة فى السودان الغربى بين أغَادِيسْ (النيجر) وكَانُو (نيجيريا) وَسَنْغَايْ (مالى)؛ فكُلِّلت جهوده بالنجاح "فقد ترك أثراً إسلاميّاً كبيراً، وقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة فى أذهان العامة والسلاطين" (عوض الله، ١٩٧٠: ١٩٢).

جمعت شخصية الشيخ محمد بن عبد الكريم المُغِيلِى، أربعة أبعاد رئيسية، هى:

١- الرسوخ العلمى: حيث حاز بتصانيفه ومناظراته الإمامةَ فى علوم الشريعة.

٢- المشيخة الصوفية: حيث كان القطب الأعلى للقادرية فى الصحراء وبلاد السودان الغربى.

٣- الفكر السياسى: حيث أَلَّف الشيخ المُغِيلِى عدة رسائل فى السياسة والحكم، لتبصير وترشيد الحكام المسلمين فى المنطقة بأمور السياسة الشرعية، حيث كتب رسالتين لسلطان "كَانُو" (نيجيريا)، محمد بن يعقوب المعروف بـ"رَمْفَا" (ت ١٤٩٩هـ)، هما: الرسالة المسماة "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"، والرسالة المسماة "ما يجوز للحكام فى ردع الناس عن الحرام" (غلادنتى، ١٩٩٣، ص ٤٢). وفى دولة سَنْغَايْ (مالى)، كتب الشيخ المُغِيلِى للسلطان محمد بن أبى بكر تُورِى، المعروف بالأسكيا الحاج (توفى ١٤٩٣هـ)، كتاباً مهمّاً فى السياسة الشرعية فى شكل أجوبة على أسئلة وجهها الأخير للشيخ المُغِيلِى، وقد عرفت هذه الرسالة بـ"أسئلة الأسكيا وأجوبة المُغِيلِى".

٤- النهج الثورى: حيث "أجاز الشيخ المُغِيلِى فى ذلك الوقت المبكر الجهاد ضد الحاكم الظالم الذى أصبح حكمه حكم الكافر والمخلِّط، ورأى المُغِيلِى فى الجهاد ضد هؤلاء أولوية على مجاهدة الكفار"، عكس أطروحات الفكر السُّنِّى المشرقى الذى كان يتحرى تجنب الفتنة على رأى جماعة "نحن مع من غلب" (مكى، ٢٠٠٥: ١٢).

هذه الأبعاد الأربعة: العلم، والتربية، والوعى السياسى، والفعل الثورى، أبعاد رئيسية ورثتها حركة التصوف فى الغرب الإفريقى -على اختلاف تنوعاتها المدرسية ومشاربها الطرقية- من

تراث الشيخ المُغِيلِي الذى شكَّل الإطار الناظم للحركة الفكرية فى السودان الغربى. ومن هنا نفهم كيف تشكلت الأرضية الفكرية التى انطلق منها التصوف فى غرب إفريقيا ليضطلع لاحقاً بأدوار سياسية وثورية إلى جانب أدواره العلمية والتزكوية التقليدية.

ثانياً: الشيخ الْكُنْتِي ومؤسسة التصوف

ويعتبر الحديث عن شخصية تاريخية مؤسسة لمجتمع البيظان من أمثال احمد الْكُنْتِي الكبير نزيل فصک ومدرسته حديثاً ذا شجون، حيث اعتمدنا منهج جرد وإحصاء مظاهر انتشار المدرسة الْكُنْتِيَةُ من زوايا وأعلام دون أن نقوم بجمع الاحتمالات والتقديرات التى يجوز افتراضها ليسقط منها على محک البحث العلمى ما يسقط ويبقى ما يليق بالتقدير والملاحظة.

وأمام صعوبة الحصول على المصادر التى تغص بها الخزانات الخاصة، يكون لزاماً علينا جميعاً كباحثين النظر فى وسائل أخرى للملمة مادة هذه الحقبة المهمة؛ ولعل الرواية الشفوية المتواترة مع ما يكتنفها من تزييد وعدم وضوح وتدقيق، إحدى السبل الممكنة لتدارک الكثير من الحقائق التى ما تزال تحملها بعض صدور العلماء الثقاة. ولا شک أن علماء هذه البلاد قد غرفوا من هذا المنهل بتواصلهم العلمى على مستوى المشيخة والتلمذة والتصوف والمراسلات.

إن هذه التظاهرة ستسهم فى استجلاء ملامح ومقومات التواصل والتلاقح الثقافى والفكرى، وإثراء ذاكرتنا الغنية بالملاحم والبطولات، وإبراز أوجه التقارب الحضارى بين بلداننا، وهى فرصة سانحة لمعالجة موضوع هذا اللقاء العلمى الهام والمتميز.

خلال رحلته الدعوية التأسيسية فى السودان الغربى كان الشيخ المُغِيلِي مرافَقاً بتلميذه، أُعْمُرْ الشيخ الْكُنْتِي (توفى ۹۵۹هـ/۱۵۵۲م)، والذى كان له دور بارز فى إكمال رسالة محمد بن عبد الكريم المُغِيلِي فى نشر القادرية ببلاد التُّكْرُورْ، "والتى كانت ترمى إلى الإصلاح وتصحيح العقيدة وتثبيت الدين الإسلامى" (ميخوت، ۲۰۰۶، ص ۲۶۴).

يصف الأستاذ الباحث الدكتور عبدالودود وُلْدُ عبد الله (دَدُودَ)، الدور الرسالى الذى قام به سيدى أُعْمُرْ الشيخ بعد وفاة شيخه بـ"امتصاص ثمرة المُغِيلِي"؛ وذلک تعليقاً على رواية تاريخية تقول إنه "لما أدرک المُغِيلِي الموتُ قال لبنيه ومريديه قولته المشهورة، وهى إحدى علامات الاستخلاف عند المتصوفة: 'من كان منكم ملتمساً منِّى نفعاً، فليلتمسه من هذا، فإنه احتوى على جميع ما عندى، وامتصنى كما يمتص الآكلُ التمرة ويلقى بالنواة'" (عبد الله،

٢٠١٨، ص ٣٢٦). استمرت القادرية فى صعود متواصل مع الرقاديين الْكُنْتِيِّينَ، لكن المرحلة الحاسمة فى تاريخ القادرية بل وفى تاريخ التصوف فى غرب إفريقيا كانت مع بروز الشيخ المختار الْكُنْتِى، الذى "يمكن رد تيار التصوف المؤسس فى السودان الغربى إليه وهو المسؤول عن بذر بذور الطريقة القادرية التى سجلت نجاحاً فى كسب قلوب الناس على يديه" (مكى، ٢٠٠٥، ص ١٣). لقد تمت مؤسسة التصوف الطرقى وتأهيله للعب أدوار إصلاحية بالغة الأهمية على يد الشيخ المختار الْكُنْتِى، وهو التطور الذى تجاوز القادرية إلى بقية الطرق الصوفية؛ "فالمعتقد أن تأثير النموذج الطرقى الذى استقرت معالمه فى عهد الشيخ المختار الْكُنْتِى، قد تجاوز مريدى هذه الطريقة ليشمل أغلب التنظيمات الطرقية التى انتشرت فى الصحراء والسودان الغربى فى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة (القرن ١٨م)" (عبد الله، ٢٠١٨: ٣٢٥).

لقد قام الفكر الإصلاحى للشيخ المختار الْكُنْتِى فى القرن ١٨م على المزاوجة بين مجموعة من المؤثرات والفواعل، منها: التميز العلمى والثقافى، والخبرة التاريخية، والإمامة الصوفية، حيث كان الشيخ المختار الْكُنْتِى زعيماً ومجدداً للطريقة القادرية فى الصحراء والسودان الغربى، جاعلاً من الطريقة القادرية الحاضنة الفكرية والتربوية للإصلاح السياسى والاجتماعى فى المنطقة إلى جانب أدواره الدعوية المشهودة.

وقد حققت الطريقة القادرية الْكُنْتِيَةُ انتشاراً واسعاً، مستندة إلى قاعدة قبلية متينة دعمت نفوذ الطريقة، ويعود ذلک إلى المكانة الاجتماعية والدينية والعلمية التى حظى بها رجالاتها فى الوسطين البيظانى والسودانى، وتعد هذه المكانة وحدها مجالاً خصباً للبحث لمعرفة كيف تمكن هؤلاء من الاستئثار بتلک الرتبة المشرفة.

ويلخص لنا الشيخ محمد الخليفة مدى اتساع نفوذ الطريقة القادرية الْكُنْتِيَةُ بقوله "... حتى لم يبق موضع من بُرْنُو ... فإن العادل محمد الباقر أمير بُرْنُو وما والاها كاتب الشيخ (سيدى المختار الْكُنْتِى) وأهدى إليه ودخل تحت طاعته، وكذلک أمراء الفُلَّانْ وعلماؤها عموماً، وخصوصاً العلامة القائم بالدعوة إلى الله عثمان بن فُودِى وأخوه الوزير عبد الله وابنه العالم الوزير محمد بل، وسائر متغلبى الطوارق ... ثم رؤساء السودان والْبَنْبَارَة وفُلَّانُ الرُّماة ... ثم رؤساء المغافرة وإدوعيش وأولاد الناصر وغيرهم ممن تحت أيديهم من القبائل اللمتونية المتغلبين عليها، وعرب الصحراء من أولاد دليم، وعريب وعرب تُوَاتَ وأولاد محمد ومن تحت أيديهم من بقايا زناتة ..." (الكنتى، ١٩٩١: ٤٥-٤٦).

ولعل المجهود الدعوى المتميز الذى بذله الشيخ سيد المختار الْكُنْتِى الكبير (۱۷۲۷-۱۸۱۱م)، الذى كان عهده الميمون من أزهى العهود التى عرفتها الطريقة القادرية، أثمر انتشار الزوايا الْكُنْتِيَةُ فى القطر المغربى كله وفى بعض مناطق الغرب السودانى.

إن المدرسة الْكُنْتِيَةُ بتاريخها وزواياها وأعلامها حالة ممتدة فى حياتنا لا تنقطع أبداً، ولا تزال آثارها فاعلةً فى تكويننا وسلوكنا.

فما هو السياق الفكرى والتاريخى الذى تشكَّل فيه التصوف الإصلاحى فى غرب إفريقيا؟ وكيف تمت مؤسسة التصوف الطرقى؟ وما أبرز الهموم والأجندة الإصلاحية التى حملتها الحركات الصوفية فى المنطقة؟

أولاً: التصوف الإصلاحى: السياق الفكرى والتاريخى

الآن نتطرّق إلى ذكر بعض عوامل قيام الدولة الصوفية (سَنْغْهَاىْ) بغرب إفريقيا والطرق التى انتحلوها لتشديد جدران الدولة، ثم نذكر أسباب سقوطها، والحالة القائمة بعدها فى نُقاطٍ ثلاثة:

۱- الحركة الصوفية وفكر التجديد الدينى

لا يمكن فهم فلسفة الحركة الصوفية فى غرب إفريقيا وخلفيات الدور السياسى والحضارى الذى اضطلعت به دون الإشارة إلى فكرة التجديد الدينى، وموقعه فى فكر وتجربة رواد هذه الحركة/المدرسة، وكذا الإحاطة بالمفهوم الذى قدموه للتجديد، وطبيعته، ومغزاه، وحدوده، وهوية القائمين عليه، والعبرة المستخلصة من تجربة أجيال المسلمين المتجددة.

لقد دعا الشيخ المختار الْكُنْتِى، بقوة إلى الاجتهاد والتجديد، وانتقد بشدة الجمود والتقليد اللذين كانا سائدين فى عصره؛ "فقد شنَّ المختار الْكُنْتِى حملة على فقهاء عصره، الذين اقتصروا على المختصرات الفقهية، واكتفوا بها عن الأصول والأمهات، فهو لا يعتد بهم إذ حبسوا أنفسهم فى دائرة المختصرات والتعليقات، ولا يطمئن إلى ما يجترُّونه من سفاسف وترهات، ويعتبرهم آفة على العلم وخطراً عليه" (الأحمدى، ۲۰۰۹: ۱۷۵).

والتجديد فى نظر هؤلاء الرواد هو تجديد ما اندرس من معالم الدين، والعودة بالناس إلى الفهم والممارسة الإسلامية الصحيحة كما تجسدت فى العهد النبوى والراشدى "فلما ضعفت الأمة عن القيام بما ذُكر على الرسم المذكور انتدب للقيام بكل خطة من تلك الخطط من يقوم بأعبائها من أعيان الأمة: يجدد ما قد اندرس من آثارها، ويُهَلِّل ما انكسف من أنوارها،

فقام القضاة بتجديد خطة القضاء، والأمراء بتجديد الإمارة، والمفسرون بالقيام بأحكام القرآن وآدابه، والمحدثون بحفظ الحديث وضبطه، والفقهاء بتقرير علم الحلال والحرام وحفظه، والصوفية بعلم جهاد النفوس ورياضتها، وعلاجها من عللها وتهذيبها... وقام النحاة بعلوم اللسان وبيان وجوه إعجاز القرآن" (الكنتى، ٢٠١١: ٢، ١٣٩).

واعتبر هؤلاء الرواد الحالة التى يجمع فيها المجدد بين وظيفة التجديد الدينى والتجديد السياسى أعلى درجات التجديد وأكثرها أهمية "ثم كان تجديد الإمارة فى باب، وتجديد الديانة من باب؛ فإذا أراد الله تعالى... إقامة دولة الإسلام فى عصر جمع بين مجدد العلماء ومجدد الأمراء فى آن وزمان فقلَّد الأميرُ العالِمَ المشير، فكان الخلق للعالم والفرى (التنفيذ) للأمير الحاكم" (الكنتى، ٢٠١١: ٢، ١٤٠).

والتجديد فى رؤية الشيخ المختار الكبير -كما يؤكد عزيز بطران- هو مهمة صعبة لا تحدث إلا مرة على رأس كل قرن... المجدد يجب ألا يدعى القيام بهذا الدور أو يصف نفسه بالمجدد، فعلماء عصره هم من سيطلقون عليه هذا اللقب تلقائيّاً، إذا كانت تتوافر فيه شروطه، فاختيار المجدد إذن يكون بإجماع من أئمة وعلماء عصره (بطران، ٢٠٠١: ٨٧).

٢- تداعيات سقوط دولة السَنْغَايْ

من أبرز الأحداث المفصلية فى تاريخ الغرب الصحراوى، التى أثَّرت فى مسار الحركة الصوفية وفكرها الإصلاحى واختياراتها التنظيمية، التداعيات الخطيرة التى خلَّفتها حملة سلطان المغرب، أحمد المنصور الذهبى السعدى، على دولة السَنْغَايْ أواخر القرن ١٦م، تلك الحملة التى أراد منها المنصور السعدى إخضاع الصحراء والسودان، وإلحاقهما بالإمبراطورية المغربية. وهو الحلم الذى تحقق بعد الانتصار المغربى فى معركة تونديبى فى أبريل/نيسان ١٥٩١؛ حيث "دخل 'الباشا جؤدر' وجيشه غَاوَةَ عاصمة السَنْغَايْ، ثم سيطروا على تُنْبُكْتُو فى ٣٠ مايو/أيار ١٥٩١" (السالم، ٢٠٠٧: ١٠٥). ورغم النجاح العسكرى لم يحقق "المنصور السعدى" أية نتائج ذات قيمة من غزوه للسَنْغَايْ، لكنه فى المقابل تسبب فى انهيار الدولة فى السودان الغربى، ومعها "انهار المجتمع الأهلى الذى كان قائماً فى المدن السودانية مثل تُنْبُكْتُو، وجِنِى، وغَاوَةَ..... وانتهت النهضة الفكرية فى تلك الأصقاع... مع مسلسل من وباء الطاعون والمجاعات والوهن الاجتماعى" (السالم، ٢٠٠٧: ١٠٦). وهو الانهيار الذى مثَّل زلزالاً مسَّت هزاته الارتدادية مختلف أوجه الحياة الحضارية فى السودان الغربى. وقد لخص ذلك الانهيار الشيخ محمد الخليفة، بالقول: لقد "أذهبوا ريح دولة الصَّنْغَانِيِّينَ، وأوهنوا

دولة العلم بالبلاد السودانية، وأظهروا الحيف فى البلاد، وشهروا السيف علـى العبـاد، وطبقـوا البلدان بالخراب ووضعوا الجزية والمكوس على الرقاب، فضـعفت دولـة السـودان وانحلـت وأدبرت عمارتهم، وتولت على بقية من رسوم الإمارة وتحلَّـة مـن آثـار العمـارة" (الكنتـى، ۱۹۹۹: ۳۵-۳۸).

۳- الحضور الأوروبى على السواحل

مثَّل القرنان ۱۷ و۱۸م بداية الوجود الأوروبى على السواحل الأطلسـية لغـرب الصـحراء الإفريقية، بغرض التجارة والمبادلات الاقتصادية، لتسويق المنتجات الأوروبيـة فـى المنطقـة والحصول على المواد الأولية من الأسواق المحلية، وفى الجوهر إجراء دراسات استكشـافية بغرض استعمار المنطقة والسيطرة على شعوبها؛ حيث "باشرت الدول الاستعمارية غزو تلـك المناطق مدفوعة بما وفرته لها الثورة الصناعية من قوة اقتصادية وعسكرية وسياسية وفكرية لا يمكن التصدى لها أو مقاومتها. كما باشرت نشاطاتها الاستكشافية والتوسـعية عبـر العـالم وعلى الخصوص القارة الإفريقية بما فيهـا الـبلاد الموريتانيـة" (محمـذن، ۲۰۰۱: ۲۲-۲۳). وكانت القوى الأوروبية قد أقامت مرافئ على السواحل الأطلسية وعلى ضفاف نهر السـنغال لتشجيع مبادلة العلك مع السكان المحليين. وكان الحضـور الأوروبـى هـذا علـى السـواحل يهدف إلى جذب تجارة القوافل إلى المحـيط (السـالم، ۲۰۰۷: ۹۴)، وخـلال فتـرة الوجـود الأوروبى على السواحل، كانت بلاد السودان وحواضـرها الكبـرى مثـل تُنْبُكْتُـو، فـى قلـب الاهتمامات الأوروبية، نظراً لموقعها الريادى فى التجارة الصحراوية وفى المبـادلات الثقافيـة والتجارية بين شمال إفريقيا وغربها.

وبشكل مبكر، بلور الشيخ المختار الْكُنْتِى، موقفاً شرعيّاً من قضية الامتيـازات التجاريـة الأوروبية وسلعها التى بدأت فى التسلل إلى الأسواق فى الصحراء والسودان الغربى فى القرن ۱۸م؛ "إذ وضع الشيخ قاعدة التداول التجارى مع الكفار، وذكَّر بأسس المعـاملات فـى هـذا المضمار..... ويمكن للباحث أن يستنتج مما أورده، أن المبادلات التجارية مع غير المسـلمين يجب أن تقوم على شروط معينة. والمعنى أن تلـك العلاقـات موجـودة ومباحـة بالأسـاس ولكنها مشروطة بعدم مدِّ الكفار بكل ما يمكن أن يوهن المسلمين، كبيع الحبوب والمواشـى، والموارد الأولية لصناعة الأسلحة فى حين أن المسلمين فى أشد الحاجة إليها. واتخذ موقفـاً حاسماً من الامتيازات التى قد يحصل عليها التجار النصارى أو الكفار، واعتبرها الأسـاس – فى حال حصولهم عليها- فى الإخلال بالتوازن الاقتصادى للبلاد فى مرحلة أولى ثم الأدهى

من ذلك أنها قد تصبح سبباً فى الإخلال بالتوازن العقائدى" (الأحمدى، ٢٠٠٩: ٢٨٨-٢٨٩). ومع بدء الحملات الاستعمارية كانت الصوفية فى السودان الغربى واعية بالتهديد الجديد، وتصدت له ببسالة منقطعة النظير.

ثانياً: الحركة الصوفية فى غرب إفريقيا والأجندة الإصلاحية

لقد شخَّص الشيخ سيدى المختار الْكُنْتِى، علة الانحطاط فى مجتمع السودان الغربى فى إسقاط المغاربة لدولة سَنْغَايْ دون تقديم بديل؛ حيث أدى تدمير السلطنة الإسلامية إلى حدوث فراغ وفوضى، وسلب ونهب وازدهار ثقافة التخليط والوثنية، مما دفعه إلى تفضيل وجود دولة -حتى لو كانت ظالمة- على غرار الدولة المغاربية على الفوضى، لأنه -على الأقل- يوجد عند المغاربة فكر المَلَكية وحفظ الأمن وإقامة المؤسسات على الشريعة الإسلامية (مكى، ٢٠٠٥: ١٢-١٤).

وركز الْكُنْتِى على أهمية إقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة الجهاد لاجتثاث الشر بشكل نهائى، وشخَّص الْكُنْتِى الشر فى انتشار الفتن والبدع والفساد والغفلة... كما دعا لفتح باب الاجتهاد وسعى كذلك إلى ملء فراغ الدولة بإقامة شبكة تواصل منظمة وبتراتيب إدارية صوفية لوصل المجتمع رأسيّاً وأفقيّاً (مكى، ٢٠٠٥: ١٢-١٤).

لقد حظيت قضية الفراغ السياسى بنصيب وافر من البحث والاهتمام فى فكر وخطاب شيوخ التصوف الإصلاحى فى السودان الغربى (إفريقيا الغربية)، يستعير الشيخ سيدى محمد الخليفة الْكُنْتِى (ت ١٨٢٦م) من الشيخ المُغِيلِى مصطلح "البلاد السائبة" كتوصيف -بالغ الدلالة- لحالة الصحراء والسودان الغربى بعد (انهيار دولة السَنْغَايْ ١٥٩١م) داعياً فى كتابه "أوثق عرى الاعتصام للوزراء والأمراء والحكام" إلى إنهاء الفوضى وإقامة الدولة "فصل فى وجوب نصب الإمام لما يترتب عليه من أمور المسلمين" (الكنتى، ١٩٩٩: ٧٢).

لقد كان إنهاء الفراغ السياسى وإقامة الدولة هدفاً استراتيجيّاً للحركة الإصلاحية الصوفية فى غرب إفريقيا خلال القرنين ١٨ و١٩، ولكن ستتباين الرؤى والاستراتيجيات تجاه الأوضاع السياسية فى المجتمعات الصحراوية البدوية بخلاف المجتمعات السودانية ذات الطابع المدينى والاقتصاد الزراعى، ففى الأولى تم التركيز على مقاربة إصلاحية شاملة بعيدة المدى، وفى الثانية تم اللجوء إلى المقاربة الثورية-الجهادية كخيار وحيد حاسم.

١- المقاربة الصوفية فى المجتمعات الصحراوية (ترميم الإجماع الأهلى)

شخَّص الفكر الصوفى الإصلاحى أزمة المجتمعات الصحراوية فى الفراغ السياسى وغياب

الدولة المركزية القوية والعادلة، فالتوصيف الرسمى لها فى أدبيات هؤلاء الرواد هو "البلاد الصحراوية التُّكْرُورِيَّة السائبة التى لا تبلغها أحكام الأمراء ولا تنالها أيديهم" (الكنتى، رسالة إلى الأمير آماش ولد اعمر ولد اعلى، بدون تاريخ)، ولكنهم مع ذلک ظلوا يفضِّلون وجود إمارات بدوية على الفوضى والفراغ التام.

لقد تعامل الفكر الإصلاحى الصوفى بواقعية مع حالة المجتمعات الصحراوية، فهو إذ ينكر الممارسات الخاطئة فى تجربة وأداء الإمارات القائمة فى البلاد الصحراوية، فإنه يقدِّر الجوانب الإيجابية لهذه الإمارات وما تسهم به من أدوار مهمة فى الاستقرار وحفظ الأمن، وتحقيق الحدود الدنيا من مصالح الناس.

ومن هنا، كان السعى لإضفاء شرعية نسبية على الإمارات البدوية القائمة تثبيتاً للاستقرار والسلم الأهلى، مع بذل الجهد فى ترشيد زعماء هذه الإمارات وحضهم على إقامة العدل وتأمين السبل ووقف التناحر الداخلى "فمن تغلَّب من هؤلاء وتمكَّن من الضرب على أيدى إخوانه وأعوانه وسائر من تصل إليه يده فكفهم عن المظالم وحملهم على العدل وانتصف منهم للمظلومين ودفع أذاهم عن سبل تجار المسلمين، فهذا وإن لم ندعُ مثله إماماً ولا سلطاناً ولا ملكاً، دعوناه والياً وسيداً على قومه... فمثل هؤلاء تجب لهم النصيحة والحض على العدل فى بلاد الله بحسن السياسة وتجنب السلاطة والتحيز فى الرئاسة، ثم أدنى مراتبهم أن يكونوا كبعض عمال الأمراء فينبغى لأحدهم بل يجب عليه أن يكون حصيف العقدة بعيد الغرة، لا يغضب فى غير حق ولا يخاف فى الله لومة لائم" (الكنتى، رسالة الأمير آماش، بدون ترقيم).

لقد فرض واقع مجتمعات الصحراء والسودان الغربى نفسه على رواد الطرق الصوفية، الذين وجدوا أنفسهم فى مواجهة كم هائل من التحديات والتناقضات، تفرض على العلماء ورجال الإصلاح مواجهته وبلورة مقاربات إصلاحية تستثمر العلم والفكر، والتربية والسياسة، لوقف التأثيرات السالبة لهذه التحديات، والتأسيس لأرضية يمكن من خلالها ترميم الإجماع الأهلى تمهيداً للإصلاح السياسى. وكان العنوان الأبرز لذلک التوجه ترسيخ فكرة الاهتمام بالشأن العام، عبر مبادرات خلاقة لحفظ الأمن والاستقرار وإغاثة الملهوف، وتعليم العلم، وحماية الضعيف ونصرة المظلوم، والأهم العمل على وصل المجتمع رأسيّاً وأفقيّاً وتسليک الأتباع فى شبكة صوفية ممتدة على طول البلاد وعرضها، يتربى أفرادها على تعاليم ورؤى وتصورات مشتركة، مما من شأنه أن يخلق كتلة إصلاحية عابرة لحدود القبائل والإمارات.

كما أعطت الطرق الصوفية عناية خاصة لإحياء الأرض من خلال غرس واحات النخيل وحفر الآبار فى الفلوات، وتأسيس المدن، على نحو ما فعل الشيخ سيديا بن المختار بن الهيبة الانتشائى، الذى بنى مدينة "أبى تلميت" فى الغرب الموريتانى، ومحمد المختار وُلْدُ بلعمش الْجَكَنِى، الذى أسس مدينة "تندوف" فى منطقة الحمادة فى الغرب الجزائرى، والشيخ ماء العينين وُلْدُ الشيخ محمد فاضل، الذى أسس مدينة السمارة فى الصحراء الغربية، والشيخ محمد الْكُنْتِى الصغير، الذى أسس مدينة "بئر أم قرين" فى منطقة الزمور فى الشمال الموريتانى، حيث يقول عنه صاحب جوامع المهمات: "نزل على بئر أم قرين وحفرها وحفر العيون وغرس النخل" (الحسن بن الحسن، ١٩٩٢: ٨٧).

٢- المقاربة الصوفية فى المجتمعات السودانية (بناء الدولة)

ظل السودان الغربى يعيش حالة فراغ سياسى منذ سقوط دولة السَنْغَايْ القوية سنة ١٥٩١م، وقد شكَّل هذا الفراغ هاجساً مقلقاً للمصلحين السودانيين على الدوام، وكانت حركة الإصلاح والتجديد التى ازدهرت فى القرن ١٨م على يد عدد من الرواد من بينهم الشيخ سيدى المختار الْكُنْتِى الكبير والشيخ جبريل بن عمر الأقدسى والشيخ عثمان بن فُودِى، تطمح لإنهاء حالة الفراغ السياسى وانتشال السودان الغربى من حالة الانهيار الحضارى، وقد تحققت هذه الجهود والآمال بقيام دول إسلامية فى أجزاء مختلفة من السودان الغربى، وهذه الدول الثلاث أسسها علماء متصوفة.

أ- الدولة الفُودِيَة (الخلافة السُوكُتِيَّة):

من العلماء الذين قاموا بحركات إصلاحية فى غرب إفريقيا الشيخ عثمان بن فُودِى فى شمال نيجيريا وجنوب النيجر وشمال بُورْكِينَا فَاسُو والكَامِيرُون، الذى جدد معالم الإسلام، وأحيا ما اندثر منها بسنانه وقلمه، واتبع منهجاً تربوياً فى تهذيب نفوس أتباعه وتزكيتهم حتى استطاعوا أن يؤسسوا دولة إسلامية ذات رقعة جغرافية واسعة وتعتبر كذلك من أكثر الدول الإسلامية فى السودان الغربى فى مجال الإنتاج العلمى، وذلك لتفرغ المؤسس للتربية والعلم والعبادة، أى جمع بين العلم والعمل.

فمع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، شهدت دُوَيْلاَتْ الْهَوْسَا وأجزاء كبيرة من السودان الأوسط حركات ثورية إسلامية تجديدية تحت قيادة الشيخ عثمان بن فُودِى (توفى سنة ١٨١٧). لقد نجحت حركة الشيخ عثمان بن فُودِى، التجديدية نجاحاً عظيماً فى منطقة غرب إفريقيا، ومن النتائج المباشرة لجهاد الشيخ، قيام دولة إسلامية على

منطقة شاسعة مترامية الأطراف، تمتد من حدود نيجيريا الشمالية الغربية إلى حدودها الشمالية الشرقية، وتضم أجزاء من الكاميرون وتمتد جنوباً حتى ولاية كُورَا المتاخمة لغرب نيجيريا. لقد استمرت هذه الدولة لمدة مئة عام تقريباً، أى من سنة ١٨٠٠ إلى سنة ١٩٠٣، وجاءت نهاية هذه الدولة الإسلامية على أيدى المستعمرين الإنجليز الذين حكموا البلاد بالحديد والنار سنة ١٩٠٣ (كانى، بلا تاريخ: ٧)، وتشير كتابات سلاطين الدولة السُّوكُتِيَّة إلى الأبوة الفكرية والروحية لكل من جبريل بن عمر الأقدسى والشيخ سيدى المختار الْكُنْتِى لحركة التجديد فى بلاد الْهَوْسَا. فكان الشيخ جبريل بن عمر بمثابة الشيخ العلمى والسياسى للشيخ عثمان، وكان الشيخ سيدى المختار الْكُنْتِى، بالإضافة إلى أبوته الفكرية لحركة الإصلاح، شيخاً روحيّاً –بواسطة– لعثمان بن فودى، كما يبين سنده الصوفى القادرى، ومن تلاميذ الشيخ الْكُنْتِى البارزين الذين مثَّلوا حلقة الوصل بينه وبين الشيخ عثمان، شخصية علمية وصوفية مثيرة هى ألفا نوح الطاهر بالإضافة لشريف يدعى الشيخ العافية. ويقول السلطان محمد بِلُو بن عثمان الفودى فى كتابه إنفاق الميسور:

"بلغ تحيتى إلى المختار ... وقل له ليدع بالخيرات
سراجنا فى هذه الأمصار ... فى هذه الدنيا وفى الممات
يا رب زد لشيخنا المختار ... كرامة التوفيق فى الأخبار
وانصره على الأعداء ... وأعطه بأحسن الجزاء" (الفودى، ١٩٩٦: ٢٥٦).

الشيخ عثمان بن فُودِى ومكانته فى تاريخ القارة السمراء:

يُعدّ الشيخ عثمان بن فُودِى من أهم الشخصيات العلمية والسياسية التى تركت بصماتها الواضحة فى سماء القارة الإفريقية، والذى "سجّل له التاريخ بمداد من ذهب صفحة فاخرة من الأمجاد، فهو من الشخصيات العلمية والقيادية الإسلامية، التى أخذت على عاتقها مسؤولية الإصلاح والتوعية العامة فى القارة الإفريقية" (الهاجرى، ٢٠٢٢: ١١).

بل "إن الشيخ عثمان بن فُودِى كان قائداً ومصلحاً ومجدّداً، ومؤسس إمبراطورية تعدّ الأولى من نوعها فى التاريخ الإسلامى فى غرب القارة السمراء؛ عُرفت ب(الدولة الْفُولاَنِيْةُ) (١٢١٩–١٣٢١ ه/ ١٨٠٤–١٩٠٣م) نسبة إلى قبيلة (الْفُولاَنِىْ) التى ينتمى إليها الشيخ عثمان، تمتد من غربى (النِيجَر) غرباً إلى حدود (البُرْنُو) شرقاً، وإلى الجنوب حتى (أَدْمَاوَا) شمال الكاميرون، وإلى مشارف الصحراء الكبرى شمالاً، وظل أولاده وتلامذته يحكمون

الدولة طوال قرن من الزمان" (الهاجرى، ٢٠٢٢: ١١-١٢).

إسم الشيخ ونسبه:

اختلف المؤرخون حول اسمه ولقبه، إلا أنه يرجح رأى الوزير جنيد، لكونه ينتمى إلى نفس أسرة الشيخ عثمان بن فُودِى، وهذا الرأى يتمثل فى الآتى: فهو عثمان بن محمد فُودِى بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غُورْطُو بن جُبُّو بن محمد سَنْبَ بن أيوب بن مَاسِرَان بن أيوب بن بَابَ بن أبى بكر بن موسى جُكِّلْ، وهو من أبناء إمام دِمْبَ (الهاجرى، ٢٠٢٢: ١٧-١٩).

وما ورد من أقوال المؤرخين، حيث ذكروا بأن نسبه يرجع إلى القبيلة الْفُولاَنِيْةُ (Fulani) العريقة فى الإسلام، وبأنها قبيلة اختلف المؤرخون فى أصلها، حيث هناك من ذهبوا إلى أنهم من الفرس نزحوا من آسيا، أو من اليهود أو من أصول صومالية أو نوبية أو حبشية، أو عربية (الهاجرى، ٢٠٢٢: ٢٠-٢٣).

وأما بالنسبة لنشأة الشيخ:

فقد نشأ فى أسرة متدينة ومثقفة بثقافة علمية عالية، حيث أن أغلب مدرسيه وعلمائه كانوا من الآباء والأجداد والأعمام، فدرس اللغة العربية وقرأ القرآن الكريم وحفظه، وقد ساعده والده على تنمية ملكة التعمق فى العلوم الدينية. وقد ورد أن الشيخ عثمان بن فُودِى بدأ تعليمه على يدى والده الشيخ محمد بن عثمان (فُودِى)، فتعلم منه مبادئ اللغة العربية، وقرأ عليه القرآن الكريم، ومبادئ العلوم الشرعية واللغوية، وأخذها كذلك عن والدته "حواء" وجدته "رقية".

كما درس بعد ذلك على يدى بعض الشيوخ فى منطقته. ويعد الشيخ جبريل من الشيوخ الذين أثّروا فى الشيخ عثمان تأثيراً كبيراً، وبخاصة فى حركته الإصلاحية. وهكذا أخذ الشيخ عثمان بن فُودِى ينهل من شتى العلوم حتى أتقن العلوم المشهورة فى عصره، من علوم دينية من: تفسير وفقه وعلومه، وفرائض، وحديث، وعلوم اللغة من: نحو، وصرف، ومعانى، وبيان، ودرس الحساب، وعلوم السياسة، والتاريخ (الهاجرى، ٢٠٢٢: ٢٩-٣٦).

أما الصفات التى تميز بها الشيخ عثمان بن فُودِى والتى أهلته ليقوم بدور المصلح الدينى بالطريقة المناسبة، هى كثيرة، فلم يكن هذا الشيخ الذى استطاع أن يُبنى أسس دولة دامت مدة قرن (١٢١٩-١٣٢١ه/ ١٨٠٤-١٩٠٣م) فى حقيقة أمره، إلا رجلاً تشبع بثقافة إسلامية واسعة، ومُنح من الصفات الخلقية، والمواهب العقلية، والشجاعة فى الرأى، والصدق فى

الإيمان، والإخلاص فى العمل، وحسن الموعظة.

أما بالنسبة لوفاته فقد ذكر الكاتب أنه بعد ثلاثة وستين عاماً من الكفاح والنضال توفى الشيخ عثمان بن فُودِى عام (١٢٣٢ه/١٨١٧م)، بعد مرض استمر به سنة، ودُفن فى مدينة (سُوكُوتُو) وخلفه ابنه الشيخ الإمام محمد بِلُّو (الهاجرى، ٢٠٢٢: ٥٠-٥٢).

الدولة السُّوكُتِيَّة:

خلافة صُكُتُو امتدت (١٨٠٤-١٩٠٣م) دولة إسلامية تأسست فى شمال نيجيريا ضمت ثلاثين إمارة اعتمدت فى إدارتها للقضاء، على أسس مذهب الإمام مالك، وساعدت فى توحيد القبائل والممالك فى غرب السودان فى ظل إدارة واحدة. وتحتل صُكُتُو موقعاً فريداً فى تاريخ نيجيريا، حيث بدأ فيها العالم الإسلامى ومؤسسها عثمان دان فُودِيُو جهوده لتجديد الفكر الإسلامى وتوحيد مناطق السكان الناطقين بلغة الْهَوْسَا تحت ظل إدارة واحدة مركزها المدينة (أوراق من صكتو، ١٩٩١؛ المسلمون فى نيجيريا، ٢٠٠٩).

قام ملوك الفَلَّاتَهْ فى كَانُو وكاتسينا بجهود كبيرة لنشر الإسلام فى المناطق المجاورة، وفى أوائل القرن الـ١٩ قام الشيخ عثمان بن فُودِى برفع لواء الجهاد لتجديد الإسلام. وتمكن الشيخ عثمان وأخوه عبد الله من توحيد إمارات الْهَوْسَا تحت سلطة مركزية واحدة ممثلة فى خلافة صُكُتُو. وفى ظل هذه الخلافة أصبح الإسلام هو القوة السياسية العليا فى نيجيريا وتم تطبيق الشريعة فى أنحاء السلطنة، وفى أواخر القرن الـ١٩ تدهورت أحوال خلافة صُكُتُو، الأمر الذى سهل للمستعمر البريطانى الاستيلاء عليها فى عام ١٩٠٢م.

التأسيس والتوسع (١٨٠٤-١٩٠٣):

أسسها الشيخ عثمان بن فُودِى بنيجيريا، وأنهت هذه الدولة الدَوَيْلاَتْ الوثنية التى كانت قائمة قبل ظهورها. أقام شعب الْهَوْسَا سلسلة من الإمارات المستقلة فى المنطقة بين بُرنُو وصَنْغَىْ على النيجر الأعلى، وذلک فى أواخر القرون الوسطى، أقدمها إمارة دورا، ثم تلتها جُوبيرْ وكَانُو ورَانُو وكَاتَسِيتَا وزَارِيَا وبَيْرَامْ ويَلْوَا وإِيْلُورِيْن وغيرها. وطال الصراع بين هذه الإمارات ودولتى صَنْغَىْ وبُرنُو بسبب الأهمية الاقتصادية لهذه الإمارات.

أخذ الإسلام ينتشر إلى هذه الإمارات عبر الطرق التجارية الداخلية والخارجية منذ القرن الأول الهجرى، السابع الميلادى، وقيل بعد ذلک، ولكن بقيت الوثنية منتشرة فيها ومسيطرة عليها، إلى عهد الشيخ عثمان بن فُودِى، وإليه يرجع الفضل فى الأسلمة الكاملة لبلاد الْهَوْسَا ثم إلى حركة الْفُولاَنِىْ الإسلامية الإصلاحية بزعامة الشيخ عثمان بن فُودِى.

لا يزال أصل هذا الشعب الْفُولاَنِىْ الرعوى ـ الذى كان يتميز بدماء غير زنجية أكثر من معظم القبائل التى كانت تعايشه ـ غامضاً إلى حد ما. وقد أجمع علماء الأجناس أخيراً على أن أصول هذا الشعب ترجع إلى أرومة مصرية، وأنهم هاجروا من صعيد مصر إلى المغرب، ثم إلى بلاد السنغال، وهم ينقسمون إلى قسمين: فُولاَنِىْ جدا، وهم الذين امتزجوا بغيرهم، وكَاوُ فُولاَنِىْ وهم الذين احتفظوا بخصائصهم القومية. وهاجروا بعد ذلك إلى مناطق شرقى وغربى إفريقيا، حتى وصلوا إلى مناطق بحيرة تْشَادْ وبلاد الْهَوْسَا فى القرن السابع الهجرى، الثالث عشر الميلادى، على الأقل. ودخل قسم كبير منهم فى الإسلام، خاصة الذين سكنوا المدن واشتغلوا بالتجارة، وأسهموا بدورهم فى نشر الإسلام فى بلاد الْهَوْسَا، ثم أقاموا الدولة الإسلامية فى بلاد الْهَوْسَا على أنقاض الدَوَيْلاَتْ الوثنية الهوسوية.

عندما توفى الشيخ عثمان بويع ابنه محمد بلُّو أميراً للمسلمين، وبقيت الإدارة مزدوجة فى عهده: القسم الشرقى للدولة يخضع لسلطان محمّد بلُو من عاصمته سُوكُوتُو (سُكُتُ) والقسم الغربى يخضع لعبدالله بن فُودِى. وأصبحت الدولة الْفُولاَنِيْةُ تتكون من الإمارات السبع التى كانت تتألف منها ممالك الْهَوْسَا القديمة، وعرفت بالولايات.

الآثار الإسلامية الحضارية فى الدولة الْفُولاَنِيْةُ بنيجيريا:

رسم الشيخ عثمان خطى دولة الإسلام الأولى فى المدينة. فقد عدَّل من نظم الضرائب التى وجدها لتتماشى مع الإسلام. فدفعت الزكاة لبيت المال الذى كونه. وهناك ضريبة العُشْر والخراج والجزية التى كان يدفعها غير المسلمين، وضريبة أرباب الحرف والصناعات. وكان القضاء مستقلاً عن السلطة التنفيذية، ويطبق الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام مالك. ويتولى بيت المال الإنفاق على مرافق الدولة المختلفة.

وانتقل زمام الحركة الثقافية الإسلامية من تُمْبُكْتُو وجِنِى وكَاوْ إلى مدن شمالى نيجيريا فى عهد هذه الدولة. وانتشرت المدارس القرآنية والمعاهد العلمية، ووجدت الرعاية من الدولة. وقامت بدور مهم فى نشر الثقافة الإسلامية ومحو الأمية.

الحركة الجهادية:

وأحيت هذه الحركة فريضة الجهاد، وأحدثت ثورة عقائدية وثقافية وسلوكية واجتماعية، وأقامت خلافة إسلامية أحيت التراث الإسلامى وجددت الدين، وجمعت تحت رايتها كل بلاد الْهَوْسَا وجزءاً كبيراً من بلاد الْيُورُوبَا، وأصبحت اللغة العربية سيدة اللغات هناك، وأصبحت اللغات المحلية فى هذه المنطقة تكتب بالأحرف العربية. ولا يقل مستوى بعض

المؤلفات فی تلک الفترة عن مستوی الکتب التی أُلّفت فی الفترة نفسها فی البلاد العربیة.

الدولة والإستعمار البریطانی:

أخذ نفوذ أمراء الولایات الْفُولاَنِیْةُ یضعف، وتطرق الفساد إلی جسم الدولة، وساد التـرف. وکان من أثر ذلک أن خرج کثیر من الوثنیین عن طاعتهم واضمحل حکمهم فی الوقت الذی بدأ فیه البریطانیون یدخلون البلاد فی القرن الثالث عشر الهجـری/ التاسـع عشـر المـیلادی. ووضعوا یدهم علی جنوبی نیجیریـا عـام ١٣١٨هــ ١٩٠٠م، وسـطوا علـی شـمالیها عـام ١٣٢٠هـ ١٩٠٢م.

ب- دولة مَاسِینَا (مالی)

نجاح تجربة الدولة الإسلامیة فی الأجزاء الشرقیة من السودان الغربی (الخلافة السُّـوکُتِیَّة فی نیجیریا) شجع مصلحی مالی علی إقامة دولة مماثلة، وکان الشیخ أحمدو بن لَبُّو، هو قائد الحرکة الدینیة السیاسیة التی نجحت فی إقامة الدولة ونصب الإمام سنة ١٨١٨م فـی مَاسِـینَا فی دلتا النیجر، قبل أن تتمدد فی اتجاه تُنْبُکْتُو وأزواد.

کان الانتصار الذی حققه الشیخ أحمدو علی تحالف القوات الوثنیة بـ"نُوکُومَـا" وسـیلة مکَّنته من بناء دولة جدیدة للفُلَّانْ مرجعها الوحید هو الدین الإسـلامی، وقـد حملـت دولـة الفُلَّانْ هذه اسم "دِینَا"، وهو اسم مشتق من الکلمة العربیة "دیـن"، وارتبطـت هـذه الدولـة بجماعة الفُلَّانْ الدینیة بالسودان الغربی والمنبثقة عن الحرکات الجهادیـة فـی القـرنین الثـامن عشر والتاسع عشر، وأصبحت مدینة حَمْدَ اللَهِ عاصمة لدولة دِینَـا ومقـراً للسـلطة المرکزیـة ومرکزاً سیاسیّاً وروحیّاً مهمّاً (الفودی، ١٩٩۶: ٣٢٣). وتعتبر دولة مَاسِینَا دولة إسلامیة نابعـة من حرکة الإحیاء الإسلامی التی عرفتها المنطقة، فأبرز رجالات الدولـة هـم مـن خریجـی زاویة الشیخ سیدی المختار الْکُنْتِی وفیها تلقوا تکوینهم الـدینی والفکـری والسیاسـی، مثـل الشیخ أحمدو بن لَبُّو والشیخ ألفا نوح طاهر (کوناری وآخرون، ١٩٩۶: ٥٨).

ت- الدولة العمریة التجانیة (فُوتَا - مالی):

کان الحاج عمر الْفُوتِیُّ أحد أبرز رموز الطریقة التجانیة فی السودان الغربی، وکـان یتمتـع بمؤهلات قیادیة نادرة وطموح سیاسی ودینی لا نظیر له، بعد عودته من الحـج مـرَّ بالدولـة السُّوکُتِیَّة فی الأجزاء الشرقیة من السودان الغربی، وقد استفاد کثیـراً مـن إقامتـه فـی دولـة سُوکُوتُو، حیث تعلم طرائق الحکم، بل شارک مع جیوش الخلافة ضـد الـوثنیین، وانتصـرفی

تلك المعارك، فكانت هذه الفترة مرحلة إعداد وتحضير للدور الكبير الذى يعد نفسه له فى المستقبل (أحمد، ٢٠١٨، ص ٥٥٠).

وفى يوم الاثنين، ٢٠ من ذى القعدة ١٣٢٨ هـ الموافق ٦ من سبتمبر/أيلول عام ١٨٥٢م، أعلن الحاج عمر الجهاد ضد الوثنيين، والكفار، فى السودان الغربى، واستطاع فى خلال عشر سنوات أن يسيطر على كل السودان، من حدود تُنْبُكْتُو حتى حدود السنغال الفرنسية، ورغم أنه اعتبر نفسه مصلحاً دينيّاً، وأعلن الزهد فى الأمور الدنيوية، إلا أنه كان مستعدّاً لتحقيق آماله من خلال الطرق السياسية والعسكرية، واعتبر أن رسالته المقدسة هى تنقية الإسلام من كل ما علق به من شوائب (جاه، بدون تاريخ، ص ٢٩٢)، ووضعُ حدٍّ للوثنية، وتطبيق الشريعة. لذلك وضع نفسه على رأس هذه الدولة (آداى، بدون تاريخ، ص ٧٠٤-٧٠٥).

٣- المتصوفة وفكر العمران

تأثر الفكر السياسى لحركة التصوف الإصلاحى فى السودان الغربى (غرب إفريقيا) بأفكار ومفاهيم مدرسة العمران كما صاغها العلامة ابن خلدون، ومظاهر هذا التأثر واضحة فى أدبيات رواد هذه الحركة، حيث تبدو ظلال أفكار ابن خلدون حاضرة بل موجهة فى العديد من رؤى ومواقف رواد المدرسة الصوفية فى الغرب الإفريقى، حول مفاهيم مثل: العصبية والدعوة الدينية، ودورهما فى قيام الدول، وقيمة العدل وصلتها بازدهار العمران، والثقافة والعلم وعلاقتهما بتعاظم الحضارة، والحرية الاقتصادية وغيرها من الأفكار.

وإذا كان الدكتور حامد عبد الله ربيع، فى نقده لفلسفة ابن خلدون، يرى أن الأخير "فصل بين الناحية الفكرية والناحية الحركية فى موقف المفكر السياسى" (ربيع، ٢٠٠٧، ص ١٣١) فإن رواد التصوف الإصلاحى فى السودان الغربى كان موقفهم أكثر تطوراً فى هذه الناحية من موقف ابن خلدون الذى لم يعش مشكلة عصره وفق تعبير الدكتور حامد ربيع (ربيع، ٢٠٠٧، ص ١٤٤)، حيث جمعوا بين الناحيتين الفكرية والعملية.

وتتضح مظاهر تأثر فكر رواد التصوف غرب الإفريقى بمدرسة ابن خلدون عند استعراض مقاربة الشيخ سيدى المختار الْكُنْتِى الحفيد لعمارة السودان، وهى المقاربة التى تقوم على مجموعة من الأسس، من بينها:

أ- الاهتمام بتنمية الاقتصاد المحلى من خلال بسط العدل وحماية الطبقات القائمة على المال والأعمال الصناعية والتجارية، "فاستبق بعضهم... فهم عمَّار تُنْبُكْتُو، وهى عمارة الشرق والغرب ولا عمارة لها إلا بالمال والرجال... ولا عبرة بالتجار الغرباء الذين على أجنحة

الطیر، ولو أنک اطلعت علی تُنْبُکْتُو لعلمت أنها أخرب من جحر ضب" (الکنتی الصغیر، مخطوط، ص ۲۵)، فالتقدم العمرانی یفترض الاستقرار السیاسی، وهو من جانب آخر لابد أن یقود إلی ازدهار التجارة ونمو الأموال، فضلاً عن نوع من سیادة مبدأ العدالة بین الرعیة دون الحدیث عن نمو مختلف الحرف والصناعات (ربیع، ۲۰۰۷، ص ۲۱۳-۲۱۴).

ب- رعایة الاستثمارات الخارجیة العربیة القادمة من تُـوَاتَ وفَـزَانْ وغَـدَامْسْ ودَرْعَـة وحمایتها من العسف والتضییق، والوعی بأهمیة الدور الذی تقوم به فی تنمیة البلاد وتقویة التبادل الاقتصادی بین الصحراء والسودان وإخوانهم فی أقطار المغرب الأقصی والأدنی والأوسط "وأحق من... أحسنت إلیه ورفقت به وأشفقت علیه غرباء المسلمین الضاربون فی الأرض یبتغون من فضل الله القائمون بوظیفة طلب الحلال تنمیة لمال الله وعمارة لبلاده، ولا یخفی علیک فضل الحلال وفضل طالبه" (الکنتی الصغیر، مخطوط، ص ۱۱-۱۲).

ج- السعی لتحقیق التوازن المطلوب بین التنمیة وحمایة الاستثمارات والمبادلات التجاریة الخارجیة من جهة وحاجیات الدولة الناشئة إلی موارد إضافیة تساعدها علی القیام بمهامها الرسالیة الکبری، عبر تقنین الضرائب الحکومیة علی هؤلاء التجار العرب فی حدود معقولة، ومحددة السقف ومعلومة التوقیت "ولو أنهم إذ تقطع علیهم معونة جهاد ونحوها وتأمر بأخذها ولم یأخذ منهم غیرها، ولم یزد فیها علی ما قطعت لکانت أنفسهم بأدائها طیبة وفی إعطائها راغبة، هذا ما اتفق لی علیه کلهم أو جلهم، ولکنها معونات فی معونات ومؤونات إلی مؤونات وأنت غیر مطلع علی أمرها، فأحرجهم ذلک وضیق علیهم حتی هَمَّ أکثرهم بالهرب فأعن أعانک الله... ومع ذلک، فهم عمار البلد.. وعبار البعد بین الأقالیم الشتی، وقوة ناموس الإسلام والقوام بکفایة فرض التجارة للقوام" (الکنتی الصغیر، مخطوط، ص ۱۱).

من هنا، کانت دعوته إلی رفع دولة مَاسِینَا یدها عن الاقتصاد القائم أساساً علی التجارة، وإفساح المجال أمام التجار وأصحاب الخبرة فی التنمیة الاقتصادیة، لیقوموا بدورهم کاملاً فی عمارة البلاد من دون مضایقة ولا تدخل من الدولة التی لها الحق فی المقابل فی فرض رسوم عادیة تدفع لها وفق مواقیت زمنیة معلومة "فلو أنک أیها السید أبقیت هذا المال تحت أیدی أربابه خزَّاناً علیه وقطعت علیهم ما رأیت أن فیه وجاء لما وجب علیهم، وجعلته نجومًا یؤدون منها کل عام ما لا یأتی علی أصل المال؛ إذ المال کالشجرة تنمو فروعها ما بقی أصلها، فإذا استؤصل الأصل فلا وجود للفروع بعده، لکان أبقی للمال وأصون وأرجی لعمارة

تُنْبُكْتُو وأعون" (الكنتى الصغير، مخطوط، ص ٢٦).

النتائج

لقد شهدت القارة الإفريقية عامة وغربها بخاصة فى القرن التاسع عشر الميلادى موجة من الحركات الإصلاحية لنشر الإسلام فى المنطقة على أيدى شيوخ الطرق الصوفية وغيرهم، ولتجديد ما اندثر من معالم الإسلام لطول الزمن بعد انهيار الإمبراطوريات الإسلامية، وإطباق الجهل على بعض المجتمعات فى المنطقة، ولمواجهة الاستعمار الغربى الذى بدأ يتوغل فيها وبخاصة على السواحل، وقد زخرت المنطقة بالعديد من العلماء الربانيين الذين ساهموا مساهمة فعالة فى دفع عجلة الحياة الثقافية والتربوية والاجتماعية والسياسية فى مجتمعاتهم، وخلفوا تراثاً فكرياً ضخماً فى جميع مجالات العلوم الإنسانية والتربوية، غير أن معظم التراث الذى خلفوه ظل مغموراً، وسار محبوساً فى المكتبات، ودور المخطوطات، مما قلل من الاستفادة منها، زيادة على قلة الكتابات عن هؤلاء العلماء، وبخاصة فى المجال التربوى الذى يعد من أهم مجالات إعداد الأمم، وأغلب الكتابات الحالية عنهم تاريخية أو حربية سياسية، والإهمال شبه الكلى للمجال التربوى والمنهجى الذى يعتبر من أهم الجوانب التى ينبغى الاعتناء بها سواء فى مؤلفاتهم أو دروسهم للوقوف على أسس التربية الروحية التى اعتمدوا عليها فى بناء جيل يؤمن برسالة نشر الإسلام والدفاع عنه.

المصادر:

١. أبو عمرو، شهاب الدين. (٢٠٠٣). القاموس الوافى. (يوسف البقاعى، مراجعة). دار الفكر.

٢. أبيكن، موسى عبد السلام. (٢٠١٣). التصوف الإسلامى فى غرب أفريقيا. جامعة عبد الحميد بن باديس.

٣. أحمد، الحمدى. (٢٠١٨). تجربة الأدب المقاوم عند الحاج عمر الْفُوتِىُّ كما صورها فى نصوص الرماح. فى الأدب المقاوم فى القارة الإفريقية (ص ٥٥٠). منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية.

٤. الأحمدى، أحمد. (٢٠٠٩). المختار الكبير الْكُنْتِى، التصوف والعلم بأزواد وإفريقيا. جمعية البيت للثقافة والفنون.

٥. إلورى، آدم عبد الله. (١٩٧٨). الإسلام فى نيجيريا والشيخ عثمان بن فُودِيُو الفلانى (ط. ٢).

٦. إلورى، آدم عبد الله. (١٩٧٩). توجيه الدعوة والدعاة فى نيجيريا وغرب إفريقيا (ط. ١). مطبعة الأمانة.

٧. إلورى، آدم عبد الله. (١٩٩٩). آثار العلم والفلسفة والتصوف فى مسيرة الدعوة الإسلامية (ط. ١).

٨. أنيس، إبراهيم وآخرون. (١٩٧٢). المعجم الوسيط (ج. ١-٢، ط. ٢).

٩. بريما بارى، عثمان. (٢٠٠١). جذور الحضارة الإسلامية فى الغرب الإسلامى (ط. ١). دار الأمين.

١٠. بوصفصاف، عبد الكريم. (بدون تاريخ). التصوف مفاهيمه وأبعاده. مجلة جامعة أدرار (١١).

١١. بطران، عزيز. (٢٠٠١). الطريقة القادرية فى غرب إفريقيا، حياة الشيخ سيدى المختار الْكُنْتِى. المعهد الإفريقى للدراسات.

١٢. باه، عبد الله مامادو. (بدون تاريخ). العلاقة بين الأقوام والأعراق فى مالى. فى مالى: عودة الاستعمار القديم.

١٣. باه، عمر. (٢٠٠٦). الثقافة العربية والإسلامية فى الغرب الإفريقى (ط. ١).

مؤسسة الرسالة العالمية.
١٤. الباحوطى، نجاح على سويسى. (٢٠٠٩). [رسالة ماجستير غير منشورة]. كلية الآداب – جامعة طرابلس.
١٥. البرتلى الولاتى، أبو عبد الله الطالب محمد بن أبى بكر الصديق. (١٩٨١). فتح الشكور فى معرفة أعيان التُّكْرُورْ (ط. ١). دار الغرب الإسلامى.
١٦. بن تونس، خالد. (٢٠٠٥). التصوف قلب الإسلام (ط. ١). دار الجيل.
١٧. بن سينا، أبو على. (بدون تاريخ). الإشارات والتنبيهات.
١٨. بن مالک، أنس. (بدون تاريخ). الموطأ. دار الكتب العلمية.
١٩. بن كبير حسونى، محمد. (٢٠٠٧). اللبانة الرمزية لمريد المناقب المعزية. مطبعة الريان.
٢٠. بيومى، محمود. (٢٠٠١). الحضارة الإسلامية فى النيجر. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
٢١. التبكتى، أحمد بابا. (٢٠١٣). نيل الإبتهاج بتطريز الديبا. دار الكتب العلمية.
٢٢. تياح، جميلة وبن جعوان، عائشة. (بدون تاريخ). الزوايا أصالة ومعاصرة [مذكرة تخرج]. جامعة أدرار.
٢٣. جامعة قاريونس. (١٩٩١). أوراق من صكتو.
٢٤. الجعفرى، محمد. (بدون تاريخ). التصوف والمجتمع.
٢٥. الجيلانى، عبد القادر. (بدون تاريخ). الفتح الربانى.
٢٦. الجبيرتى، عبد الرحمن. (١٩٨٦). عجائب الآثار فى التراجم والأخبار (ج. ١). مطبعة الأنوار المحمدية.
٢٧. جلطى، بشيرى. (بدون تاريخ). مراحل تطور علم التصوف. مجلة جامعة أدرار (١١).
٢٨. الجماعة الإسلامية. (بدون تاريخ). مؤتمرات التصوف.
٢٩. الجمعية المغربية للبحث التاريخى. (١٩٩٧). الرباط والزوايا فى تاريخ المغرب (ط. ١). منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
٣٠. الحاجى، قاسم. (بدون تاريخ). مقومات الوحدة والتضامن فى الطرق الصوفية. مجلة المغرب الإفريقى (٧).

۳۱. حاجی، قاسم. (بدون تاریخ). مقومات الوحدة والتضامن فی الطرق الصوفیة.

۳۲. حسونی، محمد. (۲۰۰۷). اللبانة الرمزیة.

۳۳. الحسن بن الحسن، محمد سالم بن الحبیب. (۱۹۹۲). جوامع المهمات فی أمور الرقیبات. (مصطفی الناعمی، تحقیق). المعهد الجامعی للبحث العلمی.

۳۴. الحموی، یاقوت. (بدون تاریخ). معجم البلدان.

۳۵. الدالی، الهادی المبروک. (۲۰۰۳). قبائل الفُلَّانْ دراسة وثائقیة (ط. ۱). دار الکتب الوطنیة.

۳۶. الدعجة، حسن. (بدون تاریخ). التوجهات السیاسیة للحرکات الصوفیة. مجلة جامعة أدرار (۱۱).

۳۷. الدکو، فضل کلود. (۱۹۹۸). الثقافة الإسلامیة فی تْشَادْ فی العصر الذهبی لإمبراطوریة کَانُو من ۱۲۰۰–۱۶۰۰ (ط. ۱). کلیة الدعوة الإسلامیة.

۳۸. ربیع، حامد عبد الله. (۲۰۰۷). مدخل فی دراسة التراث السیاسی الإسلامی. مکتبة الشروق الدولیة.

۳۹. زروق، أحمد. (۲۰۰۳). قواعد التصوف (ط. ۱). (عبد المجید خیالی، تحقیق). دار الکتب العلمیة.

۴۰. السالم، حماه الله ولد. (۲۰۰۷). تاریخ موریتانیا العناصر أساسیة (ط. ۱). مطبعة النجاح الجدیدة.

۴۱. السحمرانی، سعد. (۱۹۸۷). التصوف منشؤه ومصطلحاته (ط. ۱). دار النفائس.

۴۲. سریر، میلود وآخرون. (بدون تاریخ). دور الزوایا الثقافی والعلمی فی منطقة تُوَاتَ (ج. ۱).

۴۳. سیلا، عبد القادر. (۱۹۸۶). المسلمون فی السنغال (ط. ۱). رئاسة المحاکم الشرعیة والشؤون الدینیة فی دولة قطر.

۴۴. الشافعی، محمد بن إدریس. (بدون تاریخ). الرسالة.

۴۵. شعیب أغاکا، عبد الباقی. (۲۰۰۳). الأدب الإسلامی فی دیوان الإلوری (ط. ۱). دار النهار للطبع والنشر.

۴۶. صادر، یوحنا. (۲۰۰۴). سیر المتصوفین المسلمین فی جبل لبنان (ط. ۱). دار صادر.

٤٧. الطبرى، محمد بن جرير. (بدون تاريخ). تاريخ الأمم والملوك.
٤٨. تركى، عبد الرحمان. (بدون تاريخ). نشأة الطرق الصوفية بالجزائر. مجلة جامعة أدرار (١١).
٤٩. عبد الحليم، محمود. (بدون تاريخ). التصوف فى الفكر العربى.
٥٠. عبد الله، عبد الله ولد. (٢٠١٨). تحولات التصوف عبر الصحراء من الزاوية الرقادية إلى المدرسة المختارية. فى الأدب المقاوم فى القارة الإفريقية، أعمال ملتقى عيون الأدب العربى، النسخة التاسعة، دورة الشيخ سيدى المختار الْكُنْتِى (ص ٣٢٦). منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية.
٥١. عبد الله إبراهيم، عبد الله. (١٩٩٩). الحضارة الإسلامية فى نيجيريا. مكتبة الأنجلو المصرية.
٥٢. العقاد، عباس محمود. (١٩٥٤). الإسلام فى القرن العشرين. دار الكتب الحديثة.
٥٣. علال، الفاسى. (بدون تاريخ). التصوف الإسلامى.
٥٤. عوض الله، الشيخ محمد الأمين. (١٩٧٠). العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطتين الإسلاميتين مالى وسنغاى (ط. ١).
٥٥. الغزالى، أبو حامد. (بدون تاريخ). إحياء علوم الدين.
٥٦. غلادنتى، شيخو أحمد سعيد. (١٩٩٣). حركة اللغة العربية وآدابها فى نيجيريا (ط. ٢).
٥٧. الفاسى، عبد الحى. (بدون تاريخ). التصوف المغربى.
٥٨. الفودى، عثمان بن. (بدون تاريخ). الفرق الإسلامية.
٥٩. الفودى، محمد بِلُو بن عثمان. (١٩٩٦). إنفاق الميسور فى تاريخ بلاد التُّكْرُورْ. (بهيجة الشاذلى، تحقيق). معهد الدراسات الإفريقية.
٦٠. قورارى، عيسى. (بدون تاريخ). دور الطريقة العامية فى مقاومة الشيخ بوعمامة. مجلة جامعة أدرار (١١).
٦١. الكتانى، محمد عبد الحَى. (١٩٨٢). فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (ط. ٢). دار الغرب الإسلامى.
٦٢. الكنتى، الشيخ سيدى محمد الخليفة. (١٩٩١). الطرائف والتلائد (ط. ٢).
٦٣. الكنتى، الشيخ سيدى محمد الخليفة. (١٩٩٩). أوثق عرى الاعتصام للأمراء

والوزراء والحكام. (بادی بن بای بن بـاب، تحقیـق). شـركة المدینـة المنـورة للطباعة والنشر.
۶۴. الكنتی، الشیخ سیدی محمد الخلیفـة. (۲۰۱۱). الطرائـف والتلائـد فـی حیـاة الشیخین الوالدة والوالد. (یحیی وُلْدُ سید أحمد، تحقیق). دار المعرفة.
۶۵. الكنتی، الشیخ سیدی المختار الصغیر. (مخطوط). رسالة فی كتم الغیظ وتوقیف الفتن (مخطوط رقم ۳۲۷۶). دائرة المخطوطـات، المعهـد الموریتـانی للبحـث العلمی.
۶۶. الكنتی، الشیخ سیدی محمد الخلیفة. (بدون تاریخ). رسالة إلـی الأمیـر آمـاش ولد اعمر ولد اعلی. فی مجموعة رسائل الشیخ سیدی محمد الخلیفة إلی أمراء وزعماء الحوض. مركز الشیخ سیدی المختار الْكُنْتِی للوثائق.
۶۷. كونارى، ألفا عمر وآخرون. (۱۹۹۶). الحضارة الإسـلامیة فـی مـالی. (محمـد وقیدی، ترجمة). منشورات المنظمة الإسلامیة للتربیة والعلوم والثقافة.
۶۸. اللبودی، محمد. (بدون تاریخ). التصوف الإفریقی.
۶۹. مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة. (۲۰۱۸). الثوابت الدینیة فی إفریقیـا: الواقع والآفاق [ندوة]. الرباط.
۷۰. المجذوب، محمد. (۱۹۹۲). علماء ومفكرون عرفتهم (ط. ۴). دار الشواف.
۷۱. مجموعة من الباحثین. (۲۰۲۱). الطرق الصوفیة فی غـرب إفریقیـا السـیاقات الإجتماعیة والأدوار السیاسیة (ط. ۱).
۷۲. محمود، بیـومی. (۲۰۰۱). الحضـارة الإسـلامیة فـی النیجـر. وزارة الأوقـاف والشؤون الإسلامیة.
۷۳. مسعودی، زهرة. (۲۰۰۹). الطرق الصوفیة بتُوَاتَ وعلاقتها بغرب إفریقیا [رسالة ماجستیر غیر منشورة].
۷۴. مصطفی، جمال الدین عبد الرحیم. (۱۹۷۱). حركة التجدید الإسلامی فی العالم العربی الحدیث. معهد البحوث والدراسات العربیة.
۷۵. مكی، حسن. (۲۰۰۵). رواد الفكر والتجدیـد فـی السـودان وإفریقیـا جنـوب الصحراء فی المائتی سنة الأخیرة. مجلة دراسات إفریقیة (۴۱).
۷۶. مكی، حسن. (۲۰۰۵). رواد الفكر والتجدید فی السودان.

٧٧. ميخوت، بوداوية. (٢٠٠٦). العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربى فى عهد دولة بنى زيان [رسالة دكتوراه غير منشورة]. جامعة أبوبكر بلقايد.
٧٨. النحوى، الخليل. (١٩٨٧). بلاد شنقيط، المنارة والرباط. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
٧٩. الهاجرى، على بن غانم. (٢٠٢٢). أسطورة إفريقيا وعالمها الشيخ عثمان بن فُودِى (ط. ١). منشورات ضفاف، منشورات الإختلاف.
٨٠. الهمذانى، محمد. (بدون تاريخ). التصوف والحياة الدينية.
٨١. اليونسكو. (بدون تاريخ). تاريخ إفريقيا العام (ج. ٦، ط. ١).
٨٢. بول، مارتى. (١٩٨٥). كُنْتَةَ الشرقيون: من عرب مالى والنيجر (ط. ١). مطبعة زيد بن ثابت.
٨٣. جاه، عمر. (بدون تاريخ). تقويم جديد لجهاد الحاج عمر الْفُوتِىُّ وعلاقته بجهاد الشيخ عثمان بن فُودِى. مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٨٤. سار، عبد الكريم. (بدون تاريخ). التاريخ السياسى للإسلام فى السنغال (ط. ١).
٨٥. سالم، حماه الله ولد. (٢٠٠٧). تاريخ موريتانيا.
٨٦. سيلا، عبد القادر. (١٩٨٦). المسلمون فى السنغال. دار الأمة.
٨٧. عبد الله، عبد الودود ولد. (٢٠١٨). تحولات التصوف عبر الصحراء. فى الأدب المقاوم فى القارة الإفريقية.
٨٨. عبد الله، عبد الودود ولد. (٢٠١٨). تحولات التصوف.
٨٩. عبد الله إبراهيم، عبد الله. (١٩٩٩). الحضارة الإسلامية فى نيجيريا.
٩٠. عوض الله، الشيخ محمد الأمين. (١٩٧٠). العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى.
٩١. غلادنتى، شيخو أحمد سعيد. (١٩٩٣). حركة اللغة العربية.
٩٢. الفودى، عثمان بن. (بدون تاريخ). ضياء السياسات وفتاوى النوازل.
٩٣. كانى، أحمد محمد. (بدون تاريخ). مقدمة تحقيق ضياء السياسات وفتاوى النوازل لعبد الله بن فُودِى. الزهراء للإعلام العربى.

۹۴. الکنتی، الشیخ محمد الخلیفة. (۱۹۹۱). الطرائف والتلائد.
۹۵. الکنتی، الشیخ محمد الخلیفة. (۱۹۹۹). أوثق عری الاعتصام.
۹۶. الکنتی الصغیر، الشیخ سیدی المختار. (مخطوط). رسالة فی کتم الغیظ.
۹۷. محمذن، محمدو بن. (۲۰۰۱). المجتمع البیظانی فی القرن التاسع عشر، قراءة فی الرحلات الاستکشافیة الفرنسیة. معهد الدراسات الإفریقیة.
۹۸. میخوت، بوداویة. (۲۰۰۶). العلاقات الثقافیة والتجاریة.
۹۹. الهاجری، علی بن غانم. (۲۰۲۲). أسطورة إفریقیا.
۱۰۰. الولاتی، البرتلی. (۱۹۸۱). فتح الشکور.